حكايات الإيمان في صفات الرحمن

جمعها
فخر الرازي بن محمد يوسف بن إلياس بن عثمان
المعروف بأبي ميدان

المقدمة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه الأوَّلِ بلا ابتداء، والآخِرِ بلا انتهاء، الظاهرِ بآياته، الباطنِ عن إدراك خلقه، المتصفِ بصفات الكمال، المنزَّهِ عن سمات النقص والزوال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا يشبه شيئًا من مخلوقاته، ولا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير.

وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، شهادةً تُنير القلوب، وتشرح الصدور، وتورث العبد معرفة ربِّه وخشيته ومحبته. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد اللّٰه ورسوله، المبعوث رحمةً للعالمين، الدالِّ على ربِّه، والهادي إلى صراطه المستقيم، صلى اللّٰه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛
فإن أشرف العلوم وأعظمها قدرًا علمُ التوحيد، إذ به يعرف العبد ربَّه سبحانه، ويميز ما يجب له من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من صفات النقص والمحال. وكلما ازداد العبد معرفةً بربه، ازداد إيمانًا وخشيةً ومحبةً وتعظيمًا.

وقد رأيتُ أن أجمع في هذا الكتاب شيئًا من الكلام على صفات اللّٰه تعالى المشهورة عند أهل السنة، مقرونةً بالقصص ليكون العلم أقرب إلى الفهم، وأوقع في القلب، فإن النفوس تميل إلى القصص، والقلوب تتأثر بالعِبر والأحداث أكثر من تأثرها بمجرد العبارات المجردة.
وما كان فيه من صواب فمن فضل اللّٰه تعالى وتوفيقه، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، واللّٰه ورسوله بريئان منه.
وأسأل اللّٰه الكريم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، مباركًا لقارئه وكاتبه، وأن يرزقنا معرفته حق المعرفة، وخشيته في السر والعلانية، والثبات على التوحيد حتى نلقاه وهو راضٍ عنا.
وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

الوجود

١. قصة الأعرابي وأثر البعير

جاء أن أعرابيًّا سُئل: بمَ عرفتَ ربَّك؟
فقال:

«البَعْرَةُ تدلُّ على البَعير، والأثرُ يدلُّ على المسير، فسماءٌ ذاتُ أبراج، وأرضٌ ذاتُ فِجاج، وبحارٌ ذاتُ أمواج؛ ألا يدلُّ ذلك على اللطيف الخبير؟»

وهذه من أشهر كلمات العرب في الاستدلال الفطري على وجود اللّٰه تعالى؛ إذ شبَّه انتظام الكون بالأثر الذي لا بد له من مؤثِّر.

٢. قصة الإمام أبي حنيفة مع الدَّهريين

ذُكر أن جماعةً من الدهريين أرادوا مناظرة الإمام في

وجود الله تعالى.
فواعدهم يومًا، ثم تأخر عن المجلس. فلما حضر قالوا: ما حبسك؟
قال: كنتُ عند النهر، فلم أجد سفينة أعبر بها، ثم رأيت ألواحًا جاءت وحدها، فتركبت بنفسها، ثم صارت سفينةً، ثم سارت بي حتى عبرت!
فضحك القوم وقالوا: هذا محال، لا يمكن أن تجتمع الأخشاب وحدها وتصير سفينة بلا صانع!
فقال لهم:

«إذا كان هذا لا يجوز في سفينة صغيرة، فكيف يجوز في هذا العالم العظيم بما فيه من سماء وأرض وإنسان؟»

فبُهِتوا.

٣. قصة الإمام الشافعي والورقة

سُئل الإمام : ما الدليل على وجود الله تعالى؟
فقال:

«هذه الورقة؛ طعمها واحد، تأكلها الدودة فتُخرج حريرًا، وتأكلها النحلة فتُخرج عسلًا، وتأكلها الشاة فتُخرج لبنًا، وتأكلها الظباء فتُخرج مسكًا؛ فمن الذي دبَّر ذلك؟»

فاستدلَّ باختلاف النتائج مع وحدة الأصل على حكمة الخالق وقدرته.

القدم

١. قصة الإمام أحمد والصبي

ذُكر أن الإمام مرَّ بصبيان يلعبون، فقال لأحدهم:
— يا غلام، أتعرف اللّٰه؟
قال: نعم.
قال: فهل تعلم أن اللّٰه قديم؟
قال الغلام:

«لو كان مخلوقًا لاحتاج إلى خالق، ثم يحتاج خالقه إلى خالق، فلا ينتهي الأمر؛ فلا بد من قديمٍ أولٍ ليس قبله شيء.»

فقال الإمام:

«هذا هو الفهم الصحيح.»

٢. قصة الملك والفيلسوف

يُحكى أن ملكًا سأل فيلسوفًا:
— ما الدليل على أن للعالم ربًّا قديمًا؟
فقال الفيلسوف:

«لأن الحوادث لا تُوجد أنفسها.»

ثم أشار إلى القصر وقال:

«هذا القصر لا بد له من بانٍ، والباني لا بد أن يكون موجودًا قبل البناء، فكيف بالعالم كله؟»

فقال الملك:
— ومن خلق الخالق؟
قال:

«الخالق لو كان مخلوقًا لم يكن خالقًا، بل يكون محتاجًا

مثل غيره؛ فلا بد من موجود قديم قائم بنفسه.»

فسكت الملك.

٣. قصة أبي العتاهية مع الرشيد

دخل الشاعر على ، فتكلما في معرفة اللّٰه تعالى.
فقال أبو العتاهية:

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ
تدلُّ على أنَّه الواحدُ

ثم قال:

«تغيُّر الدنيا وانتقالها دليلٌ على أنها حادثة، وكل حادثٍ لا بد له من قديمٍ لا يتغير.»

فتأثر الرشيد وبكى.

البقاء

١. قصة إبراهيم عليه السلام وأفول الكواكب

ذكر الله قصة حين نظر إلى الكوكب ثم القمر ثم الشمس، فلما غابت قال:

﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾.

أي: لا يصلح للإلهية من يغيب ويزول ويتغير؛ لأن الإله الحق باقٍ لا يفنى ولا يغيب.

ثم قال:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

فاستدل إبراهيم عليه السلام بفناء المخلوقات وتغيرها على بقاء الله تعالى ودوامه.

٢. قصة الجنيد عند المقابر

وقف يومًا عند المقابر، فنظر إلى القبور وقال:

«أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين الأغنياء؟
فَنُوا جميعًا، وبقي الحيُّ الذي لا يموت.»

ثم تلا قوله تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.

فبكى من معه.

٣. قصة هارون الرشيد مع الواعظ

دخل واعظ على فقال له:

«يا أمير المؤمنين، لو مُنع عنك الماء ساعةً، بكم كنت تشتريه؟»

قال: بنصف ملكي.
قال:

«ولو مُنع خروجُه من جسدك؟»

قال: بنصف ملكي الآخر.
فقال الواعظ:

«ملكٌ لا يساوي شربة ماء وخروجها، كيف يركن إليه عاقل؟
إنما الباقي اللّٰه وحده.»

فبكى الرشيد.

وهذه القصص تُقرِّر معنى صفة البقاء للّٰه تعالى، أي: أن اللّٰه سبحانه لا يلحقه فناء ولا زوال، بخلاف جميع المخلوقات؛ فإنها حادثة فانية.

١. قصة ذي النون المصري

سُئل :
– بمَ عرفتَ ربَّك؟
فقال:

«عرفتُ ربِّي بربِّي، ولولا ربِّي ما عرفتُ ربِّي.»

ثم قال:

«مهما تصوَّرتَ ببالك، فاللّٰه بخلاف ذلك.»

فقيل له: لِمَ؟
قال:

«لأن كل ما تتصوره النفس محدودٌ مكيَّف، واللّٰه سبحانه لا يشبه المحدودات ولا تُدركه الأوهام.»

فكان كلامه تقريرًا لمعنى مخالفة اللّٰه للحوادث، وأن اللّٰه

تعالى منزَّه عن صفات الخلق والتشبيه.

٢. قصة الأعرابي الذي سأل: أين الله؟

جاء أعرابي إلى أحد العلماء فقال:
– أالله قريب أم بعيد؟
فقال العالم:

«هو قريب بعلمه، بعيد عن مشابهة خلقه.»

ثم قال:

«كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.»

ففهم الأعرابي أن الله تعالى لا يشبه الأجسام ولا تحدّه الجهات كالمخلوقين.

وهذه العبارة اشتهرت عند علماء العقيدة والتصوف في بيان معنى مخالفة الله للحوادث.

٣. قصة الإمام أبي حنيفة مع الرجل المشبِّه

جاء رجل إلى الإمام فقال:
– هل ربك جسم؟
فقال الإمام:

«تعالى اللّٰه عن ذلك.»

ثم قال:

«من شبَّه اللّٰه بخلقه فقد كفر؛ لأن الأجسام مخلوقة حادثة، واللّٰه قديم لا يشبه شيئًا.»

ثم تلا قوله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ومعنى «مخالفة اللّٰه للحوادث»: أن اللّٰه سبحانه لا يشبه شيئًا من المخلوقات:

- لا في الذات،

- ولا في الصفات،
- ولا في الأفعال،
- ولا تحيط به الجهات والحدود، لأن كل ما سوى اللّٰه حادثٌ مخلوق، واللّٰه خالق الحوادث كلِّها.

قيامه بنفسه

١. قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه

نظر إلى الأصنام التي كان قومه يعبدونها، فرآها تحتاج إلى من يحملها وينظفها ويحرسها، فقال لهم مستنكرًا:

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾.

ثم كسر الأصنام ليُريهم أنها عاجزة لا تقوم بنفسها،
فكيف تكون آلهة؟
فدلَّهم على أن الإله الحق هو الغني القائم بنفسه الذي لا يحتاج إلى غيره.

٢. قصة الإمام أبي حنيفة والسراج

جاء رجل إلى الإمام يسأله عن معنى قيام الله بنفسه.
فقال الإمام:

«لو أن سراجًا لا زيت فيه ولا نار، هل يضيء بنفسه؟»

قال الرجل: لا.
قال الإمام:

«فالمخلوقات كلها محتاجة إلى من يقيمها ويحفظها، أما الله تعالى فقائم بنفسه، لا يحتاج إلى شيء، وكل شيء محتاج إليه.»

ثم تلا قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

أي: الذي تصمد إليه الخلائق كلها، وهو غني عنها.

٣. قصة الجنيد مع المريد

سأل مريدٌ :
– ما معنى أن اللّٰه قائم بنفسه؟
فقال:

«معناه أنه لا يفتقر إلى مكان يحمله، ولا إلى زمان يجري عليه، ولا إلى معين يقوِّيه، بل الخلق كلهم مفتقرون إليه في كل لحظة.»

ثم قال:

«لو انقطع مدد اللّٰه عن العالم طرفة عين لفني كل شيء.»

ففهم المريد أن قيام اللّٰه بنفسه معناه كمال غناه عن كل ما سواه.

١. قصة الإمام الباقلاني وملك الروم

دخل على ملك الروم لمناظرته، فأراد الملك أن يختبره فقال:
– كيف تقولون إن اللّٰه واحد؟
فقال الباقلاني:

«لو كان للعالم إلهان، لأراد أحدهما تحريك شيء والآخر تسكينه، فإما أن تنفذ إرادتهما معًا وهو محال، أو لا تنفذ إرادة واحد منهما فيكون عاجزًا، والعاجز لا يكون إلهًا.»

فسكت الملك إعجابًا بحجته.

٢. قصة رابعة العدوية

سُئلت :

– ما علامة التوحيد الصادق؟

فقالت:

«أن لا ترى في القلب مع اللّٰه غير اللّٰه.»

ثم قالت:

«الموحِّد لا يعتمد إلا عليه، ولا يرجو سواه، لأنه الواحد الأحد.»

فكان كلامها إشارة إلى توحيد الإخلاص والمحبة للّٰه تعالى وحده.

.

٣. قصة بشر الحافي

سُئل :
– ما حقيقة التوحيد؟
فقال:

«أن تستوي عندك الخلائق في العجز، فلا ترى المؤثر إلا اللّٰه.»

ثم قال:

«من علّق قلبه بغير اللّٰه عُذِّب به.»

فأشار إلى أن كمال التوحيد يكون بتعلّق القلب باللّٰه وحده دون سواه.

١. قصة والنار

لما ألقى قومُ إبراهيمَ عليه السلام في النار العظيمة، قالوا:

﴿حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾.

فظنوا أن النار لا بد أن تحرقه، فأظهر الله قدرته وقال:

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

فتحولت النار بأمر الله إلى بردٍ وسلام، فكانت القصة من أعظم دلائل قدرة الله تعالى على تغيير طبائع الأشياء.

٢. قصة وشق البحر

لما تبع فرعونُ موسى عليه السلام وبني إسرائيل، وصلوا إلى البحر، فقال الناس:

﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾

فقال موسى عليه السلام:

﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه، فانفلق البحر طرقًا يابسة، ومشى الناس فيه سالمين، ثم عاد الماء فأغرق فرعون وجنده.
فبانت قدرة الله القاهرة التي لا يعجزها شيء.

٣. قصة عيسى ابن مريم وإحياء الموتى
أيّد الله عيسى عليه السلام بمعجزات عظيمة، فكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله تعالى.
قال تعالى:
﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾
وكان الناس يرون الميت يقوم حيًا بعد موته، فيعلمون

أن ذلك ليس من قدرة البشر، بل هو أثر من آثار قدرة الله سبحانه.

الإرادة

١. قصة إرادة الله في نجاة إبراهيم عليه السلام من النار

لما جمع النمرود قومه وأوقدوا نارًا عظيمة ليحرقوا نبيَّ الله إبراهيم عليه السلام، ظنَّ الناس أن الهلاك واقع لا محالة، ولكن إرادة الله تعالى فوق كل إرادة؛ فأمر النار بقوله:
﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾.
فتحولت النار التي تُهلك الأجساد إلى بردٍ وسلام، وخرج إبراهيم عليه السلام سالمًا لا يمسه أذى، ليعلم الخلق أن إرادة الله إذا تعلقت بشيء فلا يردها أحد، وأن الأسباب كلها خاضعة لمشيئته سبحانه.

٢. قصة إرادة الله في حفظ موسى عليه السلام وهو رضيع

حين طغى فرعون وأمر بقتل كل مولود من بني

إسرائيل، أوحى الله إلى أم موسى أن تضع ولدها في التابوت وتلقيه في اليم، وهو أمرٌ يخالف ظاهر العقل، لكن إرادة الله كانت نافذة.
فساق الله التابوت حتى وصل إلى قصر فرعون نفسه، فألقى الله محبة موسى في قلوبهم، وربِّي الطفل في بيت من أراد قتله! ثم شاء الله أن يعود إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن.
فهذه القصة من أعجب دلائل الإرادة الإلهية؛ إذ يُخرج الله الأمن من الخوف، والحياة من أسباب الهلاك.

٣. قصة إرادة الله في هجرة النبي ﷺ

لما اجتمعت قريش تريد قتل النبي ﷺ، أحاط المشركون ببيته ينتظرون خروجه، لكن إرادة الله تعالى شاءت حفظ نبيه ونصرة دينه.
فخرج ﷺ من بينهم ولم يروه، ثم اختبأ مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه في الغار، حتى وصل المشركون إلى باب الغار، فقال أبو بكر: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.
فقال النبي ﷺ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».
فصرف الله أبصارهم عنهما، ونجت الهجرة، وقامت دولة الإسلام بعد ذلك، ليظهر أن إرادة الله إذا تعلقت

بالنصر فلا يغلبها مكر البشر ولا قوتهم.

العلم

١. قصة علم الله في قصة يوسف عليه السلام
لما ألقى إخوة يوسف أخاهم في البئر، ظنوا أن أمره قد انتهى، ولكن الله سبحانه كان يعلم ما يخفونه وما سيؤول إليه الأمر.
ثم جرت الأحداث حتى صار يوسف عزيز مصر، واجتمع بإخوته بعد سنين طويلة، فقال تعالى:
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.
فقد ظهر في هذه القصة أن علم الله محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وأنه يعلم خفايا النفوس ومآلات الأمور كلها.

٢. قصة الخضر مع موسى عليهما السلام
لما رافق موسى عليه السلام الخضر، رأى أمورًا أنكرها بعقله؛ كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، ثم بيّن الخضر أن ذلك كان بعلمٍ من الله تعالى، فقال:
﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

فعلم موسى أن علم البشر محدود، وأن الله سبحانه يعلم من الحكم والأسرار ما لا تدركه العقول أول الأمر، وأن وراء الأقدار حكمًا خفية لا يعلمها إلا العليم سبحانه.

٣. قصة علم الله بسرِّ المرأة المجادِلة

جاءت امرأة تُدعى خولة بنت ثعلبة تشكو إلى النبي ﷺ زوجها الذي ظاهر منها، وكانت تُناجي رسول الله ﷺ بصوت خافت، حتى إن بعض الحاضرين لم يسمع كلامها كله.

فنزل قول الله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾.

ففي هذه القصة بيانٌ لعظمة علم الله وسمعه؛ إذ لا يخفى عليه صوت، ولا يغيب عنه سرٌّ ولا نجوى، يعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء.

الحياة

١. قصة إحياء عزير بعد موته مائة عام

مرَّ عزير على قريةٍ خربة فقال متعجبًا:
﴿أَنَّىٰ يُحۡيِي هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾.
فأماته اللّٰه مائة عام ثم بعثه، وأراه كيف حفظ طعامه وشرابه، وكيف أعاد الحمار بعد أن صار عظامًا.
ففي هذه القصة دليل على أن اللّٰه حيٌّ لا يموت، ومن كمال حياته أنه يحيي الموتى متى شاء.

٢. قصة إبراهيم عليه السلام والطير الأربعة

سأل إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يريه كيف يحيي الموتى ليزداد قلبه طمأنينة، فأمره اللّٰه أن يأخذ أربعةً من الطير ويقطعهن ثم يجعل على كل جبلٍ جزءًا منهن، ثم يدعوهن.
فلما دعاهن عادت الأجزاء متفرقةً إلى بعضها وجاءت الطيور حيَّةً تسعى إليه.
وفي ذلك برهان عظيم على كمال حياة اللّٰه سبحانه وقدرته على الإحياء بعد الفناء.

٣. قصة أهل الجنة ودوام نعيمهم

إذا دخل المؤمنون الجنة نادى منادٍ:
«إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا».
وإنما كان ذلك لأن اللّٰه سبحانه هو الحيُّ الذي لا يموت،

ومن فضله أنه يهب لعباده المؤمنين حياةً أبديةً في دار الكرامة.
فهذه القصة تدل على أن الحياة الحقيقية الكاملة للّٰه وحده، وأن كل حياةٍ في الخلق إنما هي من عطائه وإرادته سبحانه.

السمع

١. قصة سمع الله لدعاء أيوب عليه السلام

ابتلى اللّٰه أيوب عليه السلام بالمرض سنين طويلة، وفقد المال والأهل، ومع ذلك صبر ولم ييأس من رحمة ربِّه، ثم دعا ربَّه قائلًا:
﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.
فسمع اللّٰه دعاءه واستجاب له، فكشف عنه البلاء وردَّ عليه عافيته وأهله.
وفي هذه القصة دليل على أن اللّٰه يسمع أنين المبتلين ودعاء المضطرين مهما طال البلاء.

٢. قصة سمع الله لدعاء أمِّ إسماعيل عليها السلام

لما ترك إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنها إسماعيل في وادٍ لا زرع فيه ولا ماء، نفد الماء وكاد الطفل يهلك عطشًا، فأخذت هاجر تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن النجدة.

وكان الله سبحانه يسمع اضطرارها واستغاثتها، فأرسل جبريل عليه السلام فضرب الأرض فنبع ماء زمزم المبارك.

فصار ذلك الماء حياةً للناس إلى يومنا هذا، وفيه دلالة على أن الله يسمع دعاء المكروب ولو لم ينطق بلسانه.

٣. قصة سمع الله لنداء المؤمنين يوم بدر

في غزوة بدر كان المسلمون قلةً ضعفاء أمام جيشٍ عظيم، فرفع النبي ﷺ يديه يناجي ربَّه ويدعو بالنصر حتى سقط رداؤه من شدة التضرع، فقال الله تعالى:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

فسمع الله دعاءهم، وأمدَّهم بالملائكة، وكتب لهم النصر على عدوهم.

وفي هذا بيان أن الله يسمع دعاء عباده في الشدة والرخاء، ويجيب من صدق في اللجأ إليه.

البصر

١. قصة هاجر أمِّ إسماعيل وعلمها بأن الله بصير بها

لما ترك إبراهيم عليه السلام زوجته هاجر وابنها إسماعيل في وادٍ مقفر لا ماء فيه ولا أنيس، قالت له: «آللّٰه أمرك بهذا؟» قال: نعم.
فقالت: «إذًا لا يضيّعنا».
وكان يقينها أن اللّٰه سبحانه بصير بحالها، يرى ضعفها ووحدتها وعطش طفلها، فلم يتركها، بل فجَّر لها ماء زمزم وجعل ذلك الموضع بلدًا آمنًا مباركًا.
فهذه القصة تدل على أن اللّٰه يرى عباده ولا يغيب عنه حال المحتاجين والمضطرين.

٢. قصة مراقبة الله لفرعون وطغيانه

طغى فرعون وتجبر وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وقتل الأبناء واستعبد الناس، لكنه غفل عن أن اللّٰه سبحانه بصير بأعماله لا تخفى عليه خافية.
فلما بلغ الطغيان غايته، أمر اللّٰه موسى عليه السلام بالخروج ببني إسرائيل، ثم أغرق فرعون وجنده في البحر أمام أعين الناس.
وفي ذلك عبرة بأن اللّٰه يرى ظلم الظالمين، وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم.

٣. قصة كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة تبوك

تخلّف كعب بن مالك عن غزوة تبوك من غير عذر، ثم ندم أشد الندم، وكان يعلم أن الله يراه ويعلم صدقه، فلم يكذب على النبي ﷺ كما فعل المنافقون.
فأمر النبي ﷺ بهجره خمسين ليلة حتى تاب الله عليه، ونزل قوله تعالى:
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.
فهذه القصة تعلم المؤمن أن الله بصير بالسرائر والنيات، يعلم الصادق من الكاذب، ويرى خفايا القلوب كما يرى ظواهر الأعمال.

الكلام

١. قصة تكليم الله لموسى عليه السلام عند الطور

لما سار موسى عليه السلام بأهله في ظلمة الليل، رأى نارًا عند جبل الطور، فلما أتاها ناداه ربُّه سبحانه وتعالى، فقال:
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.
وكلَّمه الله تكليمًا حقيقيًا بلا واسطة، حتى لُقِّب موسى بـ "كليم الله".

وفي هذه القصة إثبات صفة الكلام لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأنه سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء.

٢. قصة آدم عليه السلام حين علَّمه الله وخاطبه

بعد أن خلق الله آدم عليه السلام، علَّمه الأسماء كلها، ثم خاطبه وأمره بالسكن في الجنة، فقال تعالى:
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.
فلما وقع في الزلة، كلَّمه ربُّه وقبل توبته وهداه.
وفي ذلك دليل على أن الله سبحانه متكلم، يأمر وينهى ويعلِّم عباده ويرشدهم.

٣. قصة الوحي إلى نبينا محمد ﷺ

كان النبي ﷺ يتعبد في غار حراء، فجاءه جبريل عليه السلام بأمر الله وقال: «اقرأ».
فبدأ نزول القرآن الكريم، وهو كلام الله المنزل غير المخلوق، الذي خاطب الله به عباده هدايةً ورحمةً ونورًا.
وقد بقي النبي ﷺ ثلاثًا وعشرين سنة يتلقى كلام الله ويبلغه للأمة، حتى اكتمل الدين وتمت النعمة.
فهذه القصة من أعظم دلائل صفة الكلام لله تعالى، إذ القرآن العظيم هو كلام رب العالمين.

كونه قادرا

١. قصة أصحاب الكهف وقدرة الله على حفظهم
فرَّ الفتية المؤمنون بدينهم من ظلم قومهم، فلجؤوا إلى كهفٍ في الجبل، فأنامهم الله سنين طويلة، ثم بعثهم كأنهم ناموا يومًا أو بعض يوم.
وقد حفظ الله أجسادهم من التغيّر، وقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال، وجعل الشمس تميل عنهم، حتى بقيت آيةً للناس.
وفي هذه القصة تظهر قدرة الله العظيمة على حفظ الحياة وإماتتها وإعادة اليقظة بعد السنين الطويلة.

٢. قصة مريم عليها السلام ورزقها العجيب
كانت مريم عليها السلام تتعبد في محرابها، فكان زكريا عليه السلام يدخل عليها فيجد عندها رزقًا لم يأتِ به أحد، فيقول:
﴿يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾
فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾.
ثم أظهر الله قدرته العظمى بأن خلق عيسى عليه السلام من غير أب، ليكون آيةً للعالمين.
فالقصة تدل على أن الله قادر على خرق العادات

وإيجاد ما يعجز عنه البشر.

٣. قصة سليمان عليه السلام وإحضار عرش بلقيس

لما أراد سليمان عليه السلام إحضار عرش ملكة سبأ قبل وصولها، قال عفريت من الجن إنه يأتي به قبل أن يقوم من مقامه، ثم قال الذي عنده علم من الكتاب:
﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.
فوجد سليمان العرش حاضرًا أمامه في لحظة، فعلم أن ذلك من قدرة الله وتمكينه.
وفي هذه القصة بيان أن قدرة الله لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه يهب من يشاء من عباده ما يشاء من الآيات والكرامات.

كونه مريدا

١. قصة تحويل القبلة وإرادة الله النافذة

كان المسلمون في أول الإسلام يصلُّون إلى بيت المقدس، ثم أراد الله تعالى أن يحوِّل القبلة إلى الكعبة المشرفة، فنزل قوله سبحانه:
﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
فتحولت الأمة كلها فورًا إلى القبلة الجديدة طاعةً لأمر

الله وإرادته.
وفي ذلك دليل على أن الله يفعل ما يريد، يحكم بما يشاء، لا معقب لحكمه.

٢. قصة أصحاب الفيل وإرادة الله في حماية بيته

خرج أبرهة بجيشٍ عظيم وفيلٍ ضخم يريد هدم الكعبة، وظن الناس أن لا قوة تدفعه، لكن الله أراد حفظ بيته الحرام، فأرسل طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كالعصف المأكول.
فبطلت قوة الملوك أمام إرادة الله تعالى، وظهر أن ما أراده الله كان، وما لم يرده لم يكن.

٣. قصة ولادة يحيى عليه السلام بعد الكِبَر

كان زكريا عليه السلام شيخًا كبيرًا، وامرأته عاقرًا لا تلد، ومع ذلك أراد الله أن يهب له ولدًا صالحًا، فبشَّرته الملائكة بيحيى عليه السلام.
فوقع الأمر على خلاف الأسباب المعتادة، ليعلم الناس أن إرادة الله لا يحدها عجز ولا مانع، وأنه إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون.

كونه عليما

١. قصة سليمان عليه السلام مع النملة

مرَّ سليمان عليه السلام بجيشه من الجن والإنس والطير، فسمع نملةً تقول:
﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.
فابتسم سليمان من قولها، لأن الله علَّمه منطق الطير والحيوان.
وفي هذه القصة يظهر أن الله العليم يعلم أصوات المخلوقات كلها ولغاتِها وأحوالها، لا يخفى عليه صغير ولا كبير.

٢. قصة الإفك وبراءة السيدة عائشة رضي الله عنها

لما اتهم المنافقون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك، خفي الأمر على كثير من الناس، وخاض بعضهم في الكلام بغير علم، لكن الله سبحانه كان يعلم الحقيقة كاملة.
فأنزل آياتٍ من القرآن تبرئها من فوق سبع سماوات، وفضح الكاذبين والمنافقين.
وفي ذلك دليل على أن الله العليم يعلم السرائر والحقائق وإن جهلها الناس.

٣. قصة الغلام والسفينة في قصة الخضر
خرق الخضر السفينة وقتل الغلام، فاستغرب موسى عليه السلام ذلك أشد الاستغراب، ثم بيَّن الخضر أن اللّٰه علم ما سيكون من أمر الغلام لو عاش، وأن وراء خرق السفينة نجاةً لأصحابها من الملك الظالم.
فهذه القصة تبين أن علم اللّٰه محيط بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأن العبد قد يجهل الحكمة بينما اللّٰه العليم لا تخفى عليه العواقب والنهايات.

كونه حيا

١. قصة أصحاب القرية الذين خرجوا من ديارهم
خرج ألوفٌ من الناس من ديارهم خوفًا من الموت، فظنوا أنهم ينجون بأنفسهم، فقال اللّٰه لهم:
﴿مُوتُوا﴾ ثم أحياهم بعد ذلك.
فأدركوا أن الحياة والموت بيد اللّٰه وحده، وأن اللّٰه هو الحيُّ الذي يحيي ويميت، لا يعجزه شيء.

٢. قصة الرجل الذي قُتل في بني إسرائيل
وقع قتلٌ في بني إسرائيل واختلف الناس في القاتل، فأمر الله موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها، فلما فعلوا أحياه الله وتكلم فبيَّن قاتله، ثم مات بعد ذلك.
وفي هذه القصة آيةٌ عظيمة على أن الله حيٌّ قيوم، يحيي من شاء ولو بعد موته.

٣. قصة النفخ في الصور يوم القيامة
إذا جاء يوم القيامة أمر الله إسرافيل بالنفخ في الصور، فيموت من في السماوات والأرض، ثم ينفخ أخرى فإذا الخلق جميعًا قائمون ينظرون.
فهذه من أعظم دلائل صفة الحياة لله تعالى؛ إذ هو الحيُّ الذي لا يموت، وكل الخلق يموتون ثم يحييهم سبحانه للحساب والجزاء.

كونه سميعا

١. قصة دعاء إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة
لما كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرفعان قواعد الكعبة، كانا يدعوان الله بخشوع قائلين:

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
فسمع الله دعاءهما، وجعل البيت الحرام قبلةً للمؤمنين إلى يوم القيامة.
وفي ذلك دليل على أن الله يسمع دعاء عباده العاملين المخلصين.

٢. قصة دعاء نوح عليه السلام على قومه

لبث نوح عليه السلام يدعو قومه قرونًا طويلة، فلما اشتد أذاهم وتمادوا في الكفر، دعا ربَّه فقال:
﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾.
فسمع الله دعاءه، وأرسل الطوفان الذي أغرق المكذبين ونجّى المؤمنين.
فهذه القصة تبين أن الله السميع يسمع شكوى أنبيائه والمظلومين.

٣. قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة

دخل ثلاثة رجال غارًا، فانطبقت عليهم صخرة عظيمة فلم يستطيعوا الخروج، فتوسل كل واحد منهم إلى الله بعملٍ صالحٍ أخلص فيه لله تعالى.
فكان الله يسمع دعاءهم وتضرعهم، وكلما دعا واحد منهم انفرجت الصخرة قليلًا، حتى خرجوا سالمين.

وفي هذه القصة دليل على أن الله يسمع دعاء المضطر إذا دعاه، ويجيب من أخلص له النيّة.

كونه بصيرا

١. قصة قارون وغروره بماله
كان قارون يملك كنوزًا عظيمة حتى إن مفاتيح خزائنه تُثقل الرجال الأقوياء، فاغترَّ بماله وقال:
﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.
لكن الله سبحانه كان بصيرًا بكبره وطغيانه وفساده، فخسف به وبداره الأرض، فصار عبرةً للناس.
وفي هذه القصة بيان أن الله البصير يرى فساد المتكبرين وإن أخفوه خلف الزينة والمال.

٢. قصة أصحاب الجنة الذين منعوا المساكين
اتفق جماعة من أصحاب البساتين أن يخرجوا صباحًا ليقطفوا ثمار جنتهم سرًّا حتى لا يعطيوا الفقراء منها شيئًا، وظنوا أن أحدًا لا يعلم نيتهم.
لكن الله سبحانه بصير بما أخفوه في صدورهم، فأرسل على جنتهم عذابًا فأصبحت كالصريم.
فلما رأوها علموا أن الله يرى أعمال العباد ونياتهم، وأن

البخل والظلم لا يخفى عليه سبحانه.

٣. قصة الهجرة واختباء النبي ﷺ في الغار

حين اختبأ النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في غار ثور، اقترب المشركون جدًا من باب الغار، حتى خاف أبو بكر أن يروهما.
لكن الله البصير كان حافظًا لنبيه، يرى حالهما وضعفهما وخوفهما، فصرف المشركين عنهما ولم يهتدوا إليهما.
وفي ذلك تعليم للمؤمن أن الله يراه في الشدة والرخاء، ويحفظ أولياءه بعنايته التي لا تغيب عنها خافية.

كونه متكليما

١. قصة تكليم الله لأهل الجنة يوم القيامة

إذا دخل المؤمنون الجنة، أكرمهم الله تعالى بأن يكلمهم ويرحب بهم، ومن أعظم النعيم سماع كلام الرب سبحانه.
وقد ورد في الحديث أن الله يقول لأهل الجنة: «يا أهل الجنة»، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك.
فهذه القصة تدل على أن الله متكلم بكلامٍ يليق بجلاله، يسمعه من شاء من عباده.

٢. قصة نداء الله لمريم عليها السلام

لما اعتزلت مريم عليها السلام الناس وجاءها المخاض تحت جذع النخلة، ناداها الله رحمةً وتثبيتًا، فقيل لِها:
﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.
فاطمأن قلبها وزال خوفها بسبب خطاب الله لها.
وفي ذلك دليل على صفة الكلام لله تعالى، وأنه يكلِّم من يشاء من عباده بما شاء.

٣. قصة سؤال الله لعيسى عليه السلام يوم القيامة

قال الله تعالى في القرآن:
﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾.
فيتبرأ عيسى عليه السلام من ذلك ويعظِّم ربَّه سبحانه.
فهذه من أعظم الآيات الدالة على أن الله متكلم، يخاطب أنبياءه وعباده يوم القيامة بكلامٍ حقٍّ وعدل.

الخاتمة

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي له صفات الكمال والجلال، المنزَّه عن كل نقصٍ وزوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين.
أما بعد؛
فهذه نبذةٌ مختصرةٌ في بيان بعض صفات الله تعالى مع قصصٍ وعِبرٍ تدل على عظمته سبحانه وكماله.
والمقصود منها زيادة الإيمان بالله، وتعظيمه في القلوب، وربط العلم بالعمل واليقين.

ونسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا معرفته وطاعته والثبات على التوحيد حتى نلقاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.
دار الحكمة
يوم الأحد، ٢٤ مايو / أيار ٢٠٢٦م
الموافق ١٧ ذو الحجة ١٤٤٧هـ